

المحاضرة السادسة

2- الصحافة المغربية الوطنية:

أما الصحف الوطنية فقد تعددت منابرها بين حزبية ونقابية ومستقلة:

أ- **صحف حزبية:** أسس حزب الاستقلال جريدة العلم سنة 1946 و L'opinion سنة

1947 كان عبد الرحيم بوعبيد محررها الرئيسي، وقد فتح صفحاتها لكتاب فرنسيين

لبراليين بغرض التواصل مع المعمرين. كما استغل الوطنيون اهتمام أمريكا بالمنطقة

لإظهار معاداتهم للاستعمار وانخراطهم في اللبرالية.

أصدر الحزب الشيوعي أسبوعية *Espoir* وقد نشرت بلاغا طالب بإلغاء معاهدة

1912 والإقامة العامة ودعا إلى انتخاب برلمان وتشكيل حكومة تدير المغرب، قرب

هذا الخط التحريري بين الشيوعيين والقصر، وقد استقبل السلطان السيد علي يعته

يوم 26 مارس 1946، ودأبت جريدته على تهنئة السلطان بكل عيد ديني لترد على

متهمي الحزب الشيوعي بالإلحاد، عانت *Espoir* من الرقابة، رغم ذلك حاول الحزب

زيادة توزيع جريدته بالبيع عن طريق طرُق الأبواب والبراح في الطرقات، كما أصدر

الحزب جريدة عربية سرية باسم حياة الشعب، ولم يتمكن من الحصول على ترخيص

لها.

وفي إطار تدبير الصراع على مختلف الأصعدة، أنشأ الوطنيون شركة لتوزيع

الصحف للالتفاف على احتكار ماص للتوزيع، كما اعتمدوا على البراح لبيع

جرائدهم، وبذلك مزجوا التوزيع العصري والتقليدي، وهذه أيديولوجيتهم أيضا.

ب- صحف نقابية:

بدأ المحجوب بن الصديق يطالب بنقابة مغربية، وقد بدأت مغربة الإتحاد العام

للنقابات وتوسعت قاعدته من 50 ألف سنة 1946 إلى 100 ألف سنة 1948، وعكست جريدة

L'Action Syndicale نضالات الطبقة العاملة، صحيح أن الفرنسيين كانوا يحتلون المواقع الأولى في

التحرير، لكن دور المغاربة يتزايد يوما عن يوم، وقد بذلت الجريدة جهودا كبيرة لتنشر

مقالات بالعربية على صفحاتها، بجانب هذه الجرائد، كانت هناك منابر تمثل قطاعات نقابية صغيرة، يسيرها فرنسيون ولا تعكس الخط الوطني، حين توقفت L'Action Syndicale خصصت جريدة Al-Istiqlal صفحة للشؤون النقابية، وقد كان بن الصديق من منشطيهما.

ج- صحف مستقلة:

هي التي تعلن استقلالها عن الأحزاب، لم تكن منتظمة، وكانت محدودة الانتشار، إذ لم يكن الوضع يسمح بوجود صحافة مستقلة عن الأحزاب، ومن نماذجها Jeune Maghrébin، كان يديرها المعطي بوهلال، طالبت بإنشاء وزارة للتربية الوطنية تعد مقررات مدرسية وجامعية تعكس الهوية الوطنية.

لقد انتعش الحقل الإعلامي في عهد Eirik Labonne وهو مقيم عام لبرالي، أما حين وصل الجنرال جوان، فقد بدأ عهد القبضة الحديدية، تقلصت حرية الصحافة، منع الباعة المتجولون للصحف لتقليص توزيع الصحف الوطنية، منعت جريدة Al-Istiqlal التي أصدرها الحزب.

حين تشتد وسائل عرقلة ومصادرة ووقف ومنع صدور الصحف، يتم اللجوء إلى إصدار صحف عرضية ذيلية تملأ الفراغ وتحاول الاستجابة لانتظارات القراء المتشوقين للخطاب غير الرسمي، صحف عربية غالبا تحاول فصل القراء عن التوجهات الوطنية، تحارب الوطنيين وتنتقد السلطان، منها جرائد: التقدم، القيامة، العزيمة، الإرادة، الحرية، صحف يديرها أشخاص أو هيئات خلقتها الإقامة العامة، صحف متهممة، ضعيفة، مكشوفة، متناقضة، غير مقنعة، تجتهد لتبدو مستقلة لأطول مدة ممكنة، توهم بوجود حرية صحافة، وقد صدرت بعدد انكشاف تبعية جريدة السعادة للإقامة العامة. وقد منعت الإقامة العامة ذات يوم جريدة الحرية المفرنسة للإيهام بمصادقية تلك الجريدة، وقد تمكن الوطنيون من قتل مصدرها إدريس بن عبد العلي.

بعد أحداث كاربان سنطرال في ديسمبر 1952، منع المقيم العام جريدتي العلم والأمل وحل حزبي الاستقلال والشيوعي. لكن بعد العودة الظاهرة لمحمد الخامس، انبعثت الصحافة الوطنية من الرماد، وخاصة الحزبية، بينما فشلت

الصحف المستقلة في معاودة الصدور، لم يعد لها مكان في المشهد الإعلامي في ظل أحزاب تتصارع على السلطة.

نستخلص أن الصحافة الوطنية قد نشأت في ظروف قاسية: قانونية ومادية ولغوية ومهنية، وكان ظهورها 27 أبريل 1914 هو الوعاء القانوني الذي شرعن هذه المساواة رغم التعديلات والتمييزات التي أدخلت عليه، وقد نص على منح الأسبقية للصحافة الناطقة بالفرنسية في بلد عربي وحجم حرية التعبير، لذا ليس صدفة أن تكون حرية الصحافة من المطالب الأولى للحركة الوطنية. تميزت المرحلة التي يغطيها الكتاب بظهور يوميات كبرى تتجاهل المناقشات وتركز على الأخبار، وأسبوعيات صغيرة تركز على الرأي و السجال السياسي.

وقد كانت المشاركة المغربية في هذا المشهد ضعيفة، بالأرقام، في 1955 كانت الصحف الناطقة بالفرنسية تمثل 94% من العناوين مقابل 4% للصحف العربية، كانت الصحف المملوكة لأجانب تستهلك 95.5% من ورق الصحف، بينما الصحف المملوكة لمغاربة تستهلك 4.5%¹⁰، الصحف الفرنسية موجهة 300 مائة ألف معمر، الصحف العربية موجهة 8 ملايين مغربي.

لا تبرر أمية أغلبية المغاربة هذا اللاتكافؤ، رغم عائق اللغة، فإن الصحافة باعتبارها حاملة لغة وحضارة، قد بصمت النخبة المغربية، فصار الجزء المؤثر منها فرانكفونيا، بل إنه مؤثر بسبب فرانكفونيته، مؤثر في سلطة ومعارضة فترة الاستقلال، وقد حملت صحافة عهد الاستقلال بصمات مرحلة الاستعمار، ومن أبرز هذه البصمات تركيز اليوميات الكبرى على الأخبار وتركيز الأسبوعيات على الرأي، إضافة إلى اعتبار الصحافة رسالة أولاً، مما جعلها أقل مهنية وأكثر تصادماً مع السلطة.

- نماذج لبعض المجلات والصحف:

-مجلة دعوة الحق:

مجلة مغربية تصدرها شهريا وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية، صدر عددها الأول في جويلية 1957م، وتهتم بالدراسات الإسلامية والتاريخ وبشؤون الثقافة والفكر، واكبت مجلة دعوة الحق مختلف أطوار الفكر المغربي الحديث، وجرت مناقشات ومعارك أدبية متعددة على صفحاتها، ونشر فيها عدد من الكتاب مؤلفاتهم في حلقات متتابعة، وهناك عشرات الكتب في الخزانة المغربية نشرت كمقالات وأبحاث في مجلة دعوة الحق.

وأصدرت المجلة أعدادا خاصة عن المساجد الكبرى في المغرب، ومؤتمر القمة الإسلامي الأول، والذكرى الأربعمئة لمعركة وادي المخازن، بالإضافة لأعداد خاصة بمناسبة عيد العرش والشباب، تعتبر مجلة دعوة الحق التي تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية أول مجلة مغربية تواظب على الصدور طيلة عشرين سنة متتابعة دون انقطاع فلم يسبق في المغرب أن استمرت مجلة ثقافية أو غير ثقافية في الصدور المنتظم طيلة هذه المدة.

لقد صدر العدد الأول من مجلة مفتتحا بكلمة قيمة بخط الملك محمد الخامس مع صورته وقد كتب تحتها: " إلى وزارة عموم الأوقاف تقديرا لمجهوداتها الإصلاحية في الميدانين الديني والاجتماعي محمد بن يوسف في 14 جمادى الثانية 1376 الموافق 16 جانفي 1957 ويستفاد من هذا التاريخ أن التفكير في إصدار مجلة إسلامية في المغرب تبناها وزارة الأوقاف بدأ منذ السنة الأولى من الاستقلال ولم يتحقق إلا في أوائل صيف 1957 ".

أسست مجلة دعوة الحق في السنوات الأولى من الاستقلال بعد عقود من استيلاء الاستعمار الأجنبي على البلاد، فكان تأسيسها من قبل وزارة الأوقاف، إعلاما بانطلاقة علمية وثقافية وفكرية للمسيرة المغربية من أجل بناء البلاد وعلامة لبداية عهد الانبعاث والتحرر في جميع المستويات، ولعل أبلغ دليل على ذلك الكلمة التي خطها الملك محمد الخامس مخاطبا بها دعوة الحق عند بدايتها، وجعلتها المجلة وثيقة انطلاقتها وخطة عملها حيث قال في الخطاب الذي وجهه للمشرفين

عليها: "... ولذلك سرنا أن تتولى وزارة الأوقاف إصدار مجلة جامعة تعنى بناحية الإصلاح الديني، كما تعالج مختلف الشؤون الاجتماعية والثقافية، ولنا وطييد الأمل في أن يلتف حولها دعاة الفكر والثقافة والإصلاح لتؤدي مهمتها، وعسى أن تسلك دعوة الحق سبل النجاح والتوفيق".

اكتسبت المجلة ثقة جمهور واسع من المفكرين والمثقفين، ورجال البحث والنظر والكتاب والأدباء وأساتذة الجامعات والعلماء والمستشرقين وقادة الفكر والدعوة في المغرب والوطن العربي والإسلامي، وعدد لا بأس به من الدول الأوربية والآسيوية والأمريكية، ويشهد على ذلك حجم توزيع المجلة بالخارج إذ تصل إلى مختلف العواصم العالمية من موسكو وواشنطن إلى بكين إلى طوكيو إلى باريس وبرلين ولندن ومدريد وروما ولشبونة وكراشي والى كل عاصمة عربية وإسلامية بدون استثناء.

ولقد كانت هذه المجلة ولا تزال منتدى الأعلام الحية وملقى لجيلين من الكتاب والباحثين، وتتسع دائرة كتاب المجلة فتنشر في العدد الثالث بحثا للمفكر الباكستاني الكبير الأستاذ أبو الأعلى المودودي، كما تنشر للأستاذ عبد الكريم غلاب مقالا بعنوان ثورة الأوقاف، ومقالا آخر للأستاذ محمد الحلوي الذي يبدو أنه بدأ صلته بالمجلة كاتباً ليتحول إلى شاعر مجيد.

واجتمع حول المجلة عدد كبير من الكتاب والمفكرين من مختلف الأجيال، بحيث يمكن القول أن معظم كتاب المغرب نشروا في مجلة دعوة الحق، ومنهم من انقطع عن الكتابة فيها وتحول إلى منابر أخرى ومنهم من لا يزال يواصل النشر على صفحاتهاⁱⁱ.

ولقد واكبت دعوة الحق مختلف أطوار الفكر المغربي الحديث، وجرت مناقشات ومعارك أدبية متعددة على صفحاتها، ونشر فيها عدد من الكتاب مؤلفاتهم في حلقات متتابعة، وهناك أكثر من عشرة كتب في الخزانة المغربية نشرت كمقالات وأبحاث في "دعوة الحق" نذكر منها كتباً للأستاذة عبد الله كنون وعبد

القادر الصحراوي ومحمد الحمداني ومحمد تقي الدين الهلالي وعبد الكريم التواتي وغيرهم.

وهكذا احتوت دعوة الحق خلال رحلتها ما يقرب من 1300 كاتباً حرروا أزيد من 6000 مقالا ودراسة متنوعة وشاملة، لأوجه الفكر المغربي والعربي الإسلامي والبشري عامة على اختلاف منطلقاته وتوجهاته، وإذا نظرنا إلى مسيرة هذه المجلة التي تعد من أعرق المجلات الفكرية والثقافية، يمكننا أن نلاحظ مجموعة من الخصائص التي لازمتها ومنها:

- تنوع الكتاب فلم تقتصر المجلة على الكتاب المغاربة وحدهم بل انفتحت على غيرهم من المغاربة من الجزائر وتونس وليبيا وموريتانيا، كما كتب فيها علماء من غرب إفريقيا من السنغال والنيجر ومالي، وانفتحت كذلك على الشرق العربي فاحتضنت كتابا بارزين من مصر وسوريا والعراق وفلسطين والخليج العربي، وامتد إشعاعها إلى الشرق الأقصى فحرر فيها كتاب من باكستان والهند وإيران، أما بلاد الغرب فكان لها نصيب كبير بالترجمات من أوروبا وأمريكا الشمالية والجنوبية من لغاتها المختلفة.

- تنوع الموضوعات لم تقتصر مجلة دعوة الحق كذلك على المضامين الخاصة بالمغرب أو بلاد العرب والمسلمين وإن كانت هي الغالبة، بل تناولت ما تعلق بالعصر من مستجدات فكرية وتحليل وموضوعات ومناقشات علمية وأدبية، وحتى ندرك أهمية إسهامها وشمول تناولها يكفي أن نذكر مثلا أنها تابعت الظاهرة الأدبية إبداعا ونقدا في البلاد العربية والإسلامية وفي إفريقيا والصين والهند وباكستان وأفغانستان وبلاد الاتحاد السوفيتي السابق وأوروبا شرقيها وغربيها وأمريكا وكندا وأمريكا اللاتينية.

انطلاقها من تصور واضح للتراث وأهميته في تحقيق النهضة، فاهتمت بالتراث المغربي والعربي الإسلامي والتراث البشري عامة ودرسته وأبرزت أوجهه النيرة المضيفة، كما حافظت على صلتها بعصرها، فمثلت طموح المغاربة والشعوب المستغلة للتحرر والنهضة والنمو عبر تشريح المشاكل والتماس الحلول، وقد تأتى لها

ذلك بفضل طاقم الكتاب الذين لازموا الكتابة فيها، والذين تميزوا بمكانة مرموقة في تاريخ الثقافة والفكر سواء في المغرب أو البلاد العربية والإسلامية أو على الصعيد العالمي.

- متابعتها للنضال المغربي من أجل التحرر ورفض التبعية والاستغلال عبر مواكبة عمل المغاربة على تحرير بلادهم واستكمال وحدتهم الترابية وبنائهم الاقتصادي والاجتماعي، وعملهم مع بقية البلاد على تحرير بلاد الإسلام وتوحيدها والحفاظ على مقوماتها الدينية والثقافية.

- الانفتاح على الثقافات العالمية والاتجاهات الفكرية السائدة بغية التعرف عليها ودراستها، وقد كانت مجلة دعوة الحق تستنير في ذلك بالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف اللذان أمرا بالبحث عن الحكمة أينما كانت والاستفادة منها.

-جريدة العلم:

صحيفة ناطقة باسم حزب الاستقلال ، وهي أقدم جريدة مغربية ناطقة باللغة العربية لا تزال مستمرة إلى اليوم، أنشأها حزب الاستقلال في II سبتمبر 1946، وتميزت حينها بكونها الجريدة الأكثر نضالا ضد المستعمر، فتعرضت على إثر ذلك لتعسف الرقابة بشكل واسع إما بالحجز أو حذف المقالات، كما أنها كانت لسان المعارضة المغربية المتحدة إلى غاية انفصال الاتحاد الوطني للقوات الشعبية عن حزب الاستقلال، وظلت جريدة معارضة إلى زمن اشتراك حزب الاستقلال في حكومة عصمان سنة 1977.

لها أرشيف قيم يعتبر تاريخا استثنائيا لأهم الأحداث التي عرفها المغرب قبل وبعد الاستقلال، لكن هذا الأرشيف المحفوظ في المكتبة الوطنية بالرباط يتعرض لتخريب حتى أن الباحثين لا يجدون سنوات بأكملها، مثل سنة 1954، ترأس جريدة العلم مشاهير من عالم السياسة والأدب مثل عبد العزيز بنعبد الله و عبد المجيد بن

جلون وعبد الكريم غلاب وعبد الجبار السحيمي ، يرأسها اليوم الأستاذ عبد الله البقالي.

-المصادر والمراجع :

- إدريس رشيد: ذكريات من مكتب المغرب العربي في القاهرة، الدار العربي للكتاب، ليبيا، تونس، 1981.
- بن بلة أحمد: مذكرات أحمد بن بلة، تر العفيف الأخضر، ط 2، دار الآداب، بيروت، 1979.
- حربي محمد الثورة الجزائرية سنوات المخاض تر نجيب عباد ، صالح المثلوثي، موفم للنشر، الجزائر.
- حربي محمد: جبهة التحرير الوطني الأسطورة والواقع، تر كميل داغر، مؤسسات الأبحاث العربية، بيروت 1983.
- غلاب عبد الكريم: ملامح من شخصية علال الفاسي، الدار البيضاء، الشركة المغربية للطبع والنشر، 1974.
- غلاب عبد الكريم: تاريخ الحركة الوطنية بالمغرب، ج 1، مطبعة الرسالة بالرباط، 1987.
- الفاسي علال: المغرب العربي منذ الحرب العالمية الأولى، مطبعة دار أمل، المغرب، 1955.
- الفاسي علال: دفاعا على وحدة البلاد، مطبعة الرسالة، سبتمبر 1957.
- الفاسي علال: كي لا ننسى سلسلة الجهاد الأكبر، مطبعة الرسالة، الرباط، 1993.

- الفاسي علال: نداء القاهرة، ط 1، المطبعة الاقتصادية، الرباط، 1959.
- المراجع باللغة العربية:
- أمطاط محمد: الجزائريون في المغرب بين 1830 - 1962، ط 1، دار الرقراق، الرباط، 2002.
- بيضا جامع: ' صحافة طنجة مرآة للصراع الدولي حول المغرب 1900-1912 '، طنجة في التاريخ المعاصر 1800 - 1965، الرباط: النشر العربي الإفريقي، 1991.
- زكي مبارك: أصول الأزمة في العلاقات الجزائرية المغربية ، نصوص شهادات وثائق ، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، 2007.
- زكي مبارك: محمد الخامس وحركة التحرير الجزائرية 1956 - 1961، الذاكرة الوطنية، عدد خاص، المغرب 2005.
- عبده عزيزة: الإعلام السياسي والرأي العام، دراسة في ترتيب الأولويات، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، 2004.
- مصطفى فؤاد: محمد الخامس وكفاح المغرب العربي، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة.